مع غزة

محمد المصباحي
أمل في إيقاظ ضمير الإنسانية جمعاء

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أيام العدوان على غزّة وكيف أثّر على إنتاجه وحياته اليومية. «احدثت (معجزة) أكتوبر الدهشة التي ينتظرها المبدعون والفلاسفة، واربكت السياسة، وفتحت طريق الإيمان بالحقّ والوعي بالمصير، الذي هو الطريق المضمون للنصر. وبلغة المتصوّفة نقلت المقاومة في غزّة فكرة الحقّ، حقّ الوجود الفلسطيني، من شيئيته الثبوتية إلى شيئيته الوجودية».

الرباط ـ **العربي الجديد**

محمد المصباحي

بطاقة

باحث وأكاديمي مغربي من مواليد القصر الكبير عام 1945، أستاذ التعليم العالي بقسم الفلسفة بكلّية الآداب في «جامعة محمد الخامس» بالرباط. من مؤلفاته: «دلالات وإشكالات» (1988)، و«تحولات في تاريخ الوجود والعقل» (1995)، و«جدلية العقل والمدينة في الفلسفة العربيّة المعاصرة» (2013)، «الذات في الفكر العربي الإسلامي» (2017)، و«في الحقّ والعدل عند ابن رشد» (2024)، «من أجل تجديد التنوير الإسلامي» (2024).

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظل ما يجري من عدوانٍ إبادةً على غزّة؟

هاجس الإبادة التي يمارسها الكيان بشكلٍ مستمرّ وبلا هوادة.

■ كيف أثّر العدوان على حياتك اليومية والإبداعية؟

كان للإبادة الجماعيّة التي تمارسها «إسرائيل» يوميًا بكلّ صفاقة على سكّان وذاكرة ومستقبل غزّة تأثيرٌ متضادّ؛ من جهة شعور بالضيم والإحباط وحتى العجز عن الكتابة، إذ ما معنى أن تكتب في عالم لم يعُد يأبه لقتل الإنسان بغير حقّ؛ ومن جهةٍ ثانية، نشأ لديّ شعور بواجب تحويل الإحساس بهذا الظلم الفادح إلى تحليلٍ عقليّ من أجل فهمه. وبالفعل، أدركتُ من ناحية أن الكذب هو طبيعة أنطولوجية للصهيوني المحتلّ وللمتحالفين معه؛ ومن ناحية ثانية، إن قول بعضهم «الأنا هو الآخر» (ليفيناس) صالحة في كلّ مكان بالنسبة لليهودي ما عدا فلسطين، حيث تم استبدالها بمقولة أخرى «الأنا لن تكون إلّا بإلغاء الآخر». لكن بتدمير اليهودي المحتلّ لذات الآخر الفلسطيني يدمّر ذاته، عملاً بمقولة الذات هي الآخر.

■ إلى أي درجة تشعر بأن العمل الإبداعي ممكنٌ وفعّال في مواجهة حرب الإبادة التي يقوم بها النظام الصهيوني في فلسطين اليوم؟

أمام حرب الإبادة التي يقوم بها الصهاينة، يبدو الإبداع لغوًا في لغو، فالفرق جذريّ بين فعل المقاومة والحلم بها وهمًا وخيالًا، فرق بين فعل المقاومة بالسلاح وفضح الطغيان الأميركي الصهيوني بالكلمة. الإبادة المنهجية لشعب غزّة لا تسمح بالإبداع. مقاومة غزّة حدثٌ تاريخي أثار التاريخ وحرّض على الاستيقاظ من الغفلة والبدء من جديد بداية جديدة. أحدثت «معجزة» أكتوبر الدهشة التي ينتظرها المبدعون والفلاسفة، وأربكت السياسة، وفتحت طريق الإيمان بالحقّ والوعي بالمصير، الذي هو الطريق المضمون للنصر. وبلغة المتصوّفة نقلت المقاومة في غزّة فكرة الحقّ، حقّ الوجود الفلسطيني، من شيئيته الثبوتية إلى شيئيته الوجودية.

■ لو قيّض لك البدء من جديد، هل ستختار المجال الإبداعي أو مجالاً آخر، كالعمل السياسي أو النضالي أو الإنساني؟

لو قُيّض لي البدء من جديد لاخترتُ أن أكون رسّامًا لتوظيف موهبتي الفنّية لرسم لوحة لخراب غزّة تُضاهي لوحة غيرنيكا لبيكاسو. أما السياسيّ فلا يسعه سوى إصدار البلاغات التي لا غناء منها. لعن الله البلاغات و«البلاغيين» والحكم نفسه يجري على مُحترفي نضالات حقوق الإنسان التي أصبحت حرفة مبتذلة. في مقابل ذلك كلّ فعل إبداعيّ يرفض التسخير والإذعان لأوامر الكفيل هو فعل شريف.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟ التغيير الأول الذي أريده، ولا أنتظره، هو أن تخلو المنطقة العربيّة من الغرباء الصهاينة، لأنهم لا يحبوننا ولا نحبهم، ولا نقبل بهم أن يكونوا ضيوفاً ثقلاء علينا. أملي أن تختفي الدولة الظالمة والشريرة من منطقتنا إلى الأبد. التغيير الثاني الذي أتمناه هو نهاية القطب الواحد في العالم، واستبداله بتعدّد الأقطاب، لأننا سئمنا من تغوّل الولايات المتحدة وطغيانها.

شفّت معجزة أكتوبر طريق الإيمان بالحقّ والوعي بالمصير

الكذب طبيعة أنطولوجية للصهيوني المحتلّ وللمتحالفين معه

■ شخصية إبداعية مقاومة من الماضي تودّ لقاءها، وماذا ستقول لها؟

الشخصية الإبداعيّة المقاومة التي أودّ لقاءها هي الشاعر الفلسطيني محمود درويش الذي سأقول له إنه عبّر بصدق عن روح الوجود الفلسطيني المتناقض، وعن مصيره، وأنّ نبوءته عن غزة والإنسان الغزّيّ كانت صادقة وفعّالة في التاريخ.

■ كلمة تقولها للناس في غزّة؟

أقول لشعب غزّة إنّكم وضعتم تاجاً فوق رؤوسنا، قلبتم علاقة «العبد والسيّد»، وأخرجتم كلّ الشر الصهيونيّ الذي كانوا يخفونه بمساحيق الديمقراطية وبالقيم الغربية، وأظهرتم للجميع مدى همجيّة وبربريّة الصهاينة المحتلّين ومدى حقدهم على الإنسانية جمعاء. لقد برهنتم أنّهم كل يوم يُرذلون أمام العالمين. لقد حرّرتم اليهود الشرفاء من إرهاب الدولة الإسرائيليّة، وفضحتم بعض الفلاسفة والمفكّرين الغربيّين، هذا علاوة على فضحكم لمن هُم مثلهم في العالم العربي.

■ كلمة تقولها للإنسان العربي في كلّ مكان؟

من الخلاصات التي لاحت لي من «معجزة غزّة» أنّ الإنسان العربيّ قد يكون هو أمل الإنسانية في إيقاظ ضميرها؛ لتتحرك لرفع الظلم العظيم الذي أحدثه الغرب للشعوب المستضعفة في كلّ أرجاء العالم. إنّ صبر الإنسان الغزّي هو بمثابة تضحية من أجل الإنسانية جمعاء، بمن فيهم اليهود الرافضون للاحتلال الإسرائيلي ومجازره المُخزية.

■ حين سُئلت الطفلة الجريحة دارين البيّاع التي فقدت معظم أفراد عائلتها في العدوان: ماذا تريدين من العالم، أجابت «رسالتي للناس إذا بيجبوا دارين يكتبوا لي رسالة أو أي إشي».. ماذا تقول لدارين ولأطفال فلسطين؟

أحبّكِ يا دارين؛ لأنكِ وكلّ أطفال غزّة تبرهنون بأنّكم، وبابتسامتكم وبلعبكم العفوي والبريء، وبعدم فقدانكم الأمل بالرغم من فداحة خسارة أهلكم، بأنّكم شعب الله المختار، وليسوا أولئك القتلة الظالمون. أملنا كبير فيكم بأن تعيدوا الكرّة تلو الكرّة إلى أن تتحرّر فلسطين كلّها.

رحيل

المثقّف المشتبك في زمن الأحكام العرفية
فخري قعوار الكتابة في فخاخ الالتزام

يشير اسم الكاتب الأردني، الذي رحل أول أمس، إلى حقبة عاشها الأردن حوالي ثلاثة عقود، قدّم فيها قصصاً ومقالات تنتقد السلطة وتنحاز للمهمّشين

عمّان ـ **محمود منير**

ينتمي الكاتب الأردني فخري قعوار (1954 ـ 2024)، الذي رحل أول أمس الثلاثاء، إلى تيار الواقعية في كتابة القصّة القصيرة الأردنية بدايات الستينيات (وإن نُشر بضعة نصوص في نهاية الخمسينيات) الذي تبنّى قضايا اجتماعية وسياسية، ضمن تفاوتات في القدرة على تفكيك الواقع وتحليل بنيته، وفي المستوى الفنّي أيضاً. في ذلك المشهد الذي تداخل في تأسيسه كتّاب سرد من الأردن وفلسطين من أمثال خليل السواحري ومحمود شقير وسالم النحّاس وآخرين، اقترب قعوار أكثر من تفاصيل الحياة اليومية لدى معظم فئات المجتمع المهمّشة، ساعياً إلى رسم شخصيات حقيقية من لحم ودم والبحث عن حدث يتماهى مع وقائع عاشتها وتعيشها تلك الفئات، مع نزوع نحو مثالية ما فرضتها توجّهاته القومية واليسارية.

تكرّست واقعية صاحب «لماذا بكت سوزي كثيراً» (1973) مع انخراطه المبكر في الكتابة الصحافية، ضمن رؤية حكمت كتابة المقال والقصّة القصيرة كذلك، حيث الكتابة تحمل وظيفة أساسية تتمثّل في التعبير عن هموم الناس البسطاء وحقوقهم التي انتهكتها السلطة، والانحياز إلى الحرّية التي ارتبطت بأفكار مسبقة في معظم نتاجات القاصّين العرب خلال الستينيات والسبعينيات، والتي صُنّفت تحت يافطة «أدب الالتزام».

الارتباط بالصحافة قاد قعوار إلى كتابة مقالات ساخرة تعتمد الشكل القصصي غُرفت في مرحلة الأحكام العرفية التي فُرضت في الأردن بين 1958 و1989، واعتمد في كتابتها على بناء شخصيات ستتنمو وتتطوّر استجابةً للظروف السائدة آنذاك، وسلّاً زمه في عدد من النصوص التي جمعها في كتابه «يوميات فرحان فرح سعيد» (1982) والذي حُوّل إلى مسلسل تلفزيوني.

وربما ليس غريباً أن تتحوّل تلك القصص إلى الدراما، كونها اتّكأت على مفارقات البطل «فرحان» الذي يعرّي تناقضات المجتمع، من خلال مجموعة مشاهد تميل نحو المبالغة والتهكّم الذي يطاول كلّ شيء، ومنها حوارٌ دار بين فرحان ووالده، حيث أخبره الأوّل أنّه «لم يعد أمامه سوى حلّين: إمّا الزواج وإمّا الانتحار!»، ليردّ عليه الوالد بأنه أجرى عملية حسابية بسيطة فخلص إلى القول: «لقد حسبت ووزّنت الأمرين، ووجدت أن انتحارك سيكون أرخص وأفضل بكثير من زواجك».

فرحان هو نموذج يمثّل جميع الطبقات المسحوقة يروي غرائب العيش وعجائبه منذ الطفولة حتى دخوله مستشفى الأمراض العقلية، وليس غريباً أن قعوار وفرحان يتشابهان في تفاصيل عديدة، سواء في دراسة اللغة العربية والعمل في التدريس، أو في النظرة إلى مسائل عديدة في مقدّمتها السخط من الأحوال المعيشية المتردّية التي تتحمّلها سياسات الحكومة.

جزء كبير يهيمن على مونولوغات فرحان يتّصل بقمعه، وعدم قدرته على التعبير عن نفسه، وهي ثيمة عبّر عنها في كثير من قصصه، تضاف إلى دفاعه الدائم عن حقوق المرأة التي تتعرّض إلى ظلم وتهميش كبيرين، خاصة من قبل المثقّف العربي الذي يعاني من قصام واحد؛ فهو ينحاز ظاهرياً للنساء، لكنّه يُمعن في انتهاك حقوقهن.

لم تنفصل تجربة قعوار السردية عن رؤيته وقناعاته التي آمن بها، كما تبلوّرت في الثمانينيات مع تراكم إصداراته في القصّة بمجموعات: «ممنوع لعب الشطرنج» (1976)، و«أنا البطريك» (1981)، و«البرميل» (1982)، و«أبو الفلسطيني» (1989)، حيث التزامه بقضايا العدالة والديمقراطية والتنوير التي يعبّر عنها «المثقّف الملتزم» بكتابته الصحافية والأدبية، وحتى في كتابته للطفل ضمن مجموعة بعنوان «من الفراشة الملوّنة إلى الطيور المهاجرة» (1980) أو مسرحية «وطن العصافير» (1993)، أو في المواقع التي شغلها رئيساً لـ«رابطة الكتّاب الأردنيين» لأربع دورات متتالية، وأميناً عامّاً لـ«الاتحاد العامّ للأدباء والكتّاب العرب» لستة أعوام.

وظيفة الكتابة الأساسية لديه هي التعبير عن هموم الناس

وبالطبع لا يمكن إغفال بلاغته اللغوية ونقده السياسي باعلى سقف في خطاباته التي ألقاها تحت قبّة البرلمان الأردني حين انتُخب نائباً عام 1989، خاصّة ضدّ رئيس الحكومة المكلّف آنذاك مضر بدران (1934 - 2023)، منتقداً الإتيان بضابط مخابرات ومدير جهاز أمني ليقود مرحلة «الانتقال الديمقراطي» في الأردن، إضافةً إلى تركيزه على الفساد وسوء الإدارة. برز فخري قعوار كاتب قصّة كلاسيكياً ومشتبكاً مع الشأن العام. ربّما لم تتطوّر كتابته وظلّت أسيرة زمن قديم، وكذلك لم يتغيّر منظوره في تحليل السياسة والمجتمع، لكنه سيبقى اسماً يعبّر عن مرحلة مرّ بها الأردن ولم يُنشر عنها سوى القليل ممّا يستحقّ القراءة والتأمّل.

فخري قعوار (1945 - 2024)

إضاءة

عملية ليست بمعزل عن التأويل
إبداعية الترجمة

مزوار الإدريسي

تبقى النصوص الأدبية بأجناسها المختلفة حبيسة لغتها وثقافتها، وعديمة التأثير في غيرها، إلى أنْ يُتاح لها التوسُّع لسانياً خارجَ مجالِها اللغوي، لأجل الوصول إلى ثقافات العالم، وقد يتيسر لها ذلك إذا ما أتيحتْ لها فرصةُ الصدور مترجَمةً، بأن تَحُل ضيفاً غريباً على غيرها، فتُكتشف فيها المُختلفَ الذي يُغنّي، لا مَحالة، الثقافات المُضيفة بمُعجم غريب، وقضايا متنوّعة، ومواضيع جديدة وأساليب مُبتكَرة... إلخ.

ويتصوّر القارئ عند وضعه النصّ المترجَم بين يديه أنه سيقرأ الأصل، لاعتقاده بأن المترجِم يُنجِز عملاً بريئاً ونبيلاً، يكون مناطُه إحلالَ نصّ «الانطلاق» في لغة وثقافة غريبتيْن عنه ليَغدو نصّ «الوصول»، مع المحافَظة على الوفاء التامّ له، ليَخرُج على الشاكلة التي كان مؤلّفه الأصلي سيكتبُه بها، لو أنه كان يُتقن اللغة المُضيفةَ ويُحيط بثقافتها، خصوصاً أنّ الدار الناشرة له تُسهر على ضمان جودة الإخراج، والوفاء للمتن الأصلي معنى ومبنى، وعموماً، يتوسَّل البشر، عند إنجازهم لأيّ تخاطب لغوي أو إشاري في ما بينهم، بعلامات متنوعة؛ وواهمٌ من يتصوّر أنّ العملية تتسم بالميكانيكية، فهي ليست بمعزل عن التأويل. ونُعلمُ أن للتأويل، بحسب ريشارد إيه لَمْبر، معانيَ ثلاثة هي: القول والتفسير والترجمة؛ لِتَكون الترجمة تَلقّياً غيرَ مُتطابقٍ بالضرورة مع ما يتصوَّرُه باعثُ الرسالة، وتَكون ترجمةُ المقول أو الإشارة تأويلاً يتحقَّق فيه ما يَتميَّز به عن مُنطلقه، بما يطبعه من اختلاف عمّا يُعرَف بكونه أصْلَه، وتبعاً لذلك فإنّ كلّ تبادل لرسائل مهما كان حامِلُها يُعَدّ ترجمة، على اعتبار أننا تلقائياً «نترجم عند دخولنا في اتصال سمعي أو قرائي مع الماضي»، وَفْق جورج ستاينر، فكل علامة تَحدّث يستتبعها أكثر من فهم. هكذا، تتحرّر الترجمة من وصمة الانعكاسية، وتصير مُستحقّة لأنْ يُعترَف بها بصفتها إعادة كتابة لِما يُعرَف بأنه «أصلُها»، وتغدو مُستحقّةً لأن تنتزع لذاتها صفة الإبداعية، بما يتوافر لها من اقتدار على التأمّل في ذلك «الأصل» من جهة، وعلى الوعي بأساليبه الموظّفة من جهة ثانية، ناهيك عن تبنّيها صوتَ مُنجِزها، الذي له وعيُه الخاص، وحساسيتُه التعبيرية من معجم وأسلوب وتصوير... إلخ. ونوعية الحوار الذي يُقيمه مع العمل المنْقول، الذي يتوخّى منه أن يغدو في حد ذاته أصلاً لغيره، بل قد يَزُوم لذلك «الأصل» أنْ يصير أثراً بعد عين، ليس بتدميره والقضاء عليه، وإنما بإحلال الترجمة محلّه، لأنه كأصل يستمرّ حيّاً في لغته وثقافته، دون ريب.

والواقع أنّ المترجِم لا يَعمد، في الأغلب، إلى إحداث تغييرات في الأصل، تلك التي يَنعتُها بعضُهم بالتصرُّف أو التحكّم في ما ليس له فيه حقّ، بل إنه يُضطرّ إلى ذلك أمام الصِّعاب التي يُصادفها أثناء نقله لنصّ من ثقافة ذات أنساق مغايرة إلى أخرى مختلفة عنها تماماً، فيكون مُجبَراً على اتّخاذ قرارات متنوّعة، تَنجُم عنها اختلافات عديدة ولافتة، وهي التي تُحوّل النصّ الأصْل إلى آخر، فيُسمّي بعضُهم العملية خيانة، ويُسمّيها بعضهم الآخر إبداعاً؛ ولا مراء في أنّ كلّ واحد من الطرفيْن يُصدر عن موقفيّ: أحدهما أخلاقي والآخر جمالي.

ولا غرو في أن نُظير هذا الطموح الإبداعي من قِبل المترجِم مشروعٌ ولا يَعني أيّ سطو على «الأصل» أو تنكّر له، ما دام أنّه لا ينفي أنّ الأخيرَ هو عِلّة وجود ترجمته، وأنّه مُلهِمُه. ويبدو لي أن الممارسين للترجمة كانوا أكثر تفهُّماً لهذا الواقع، لمدى معرفتهم بمعاناة المترجِم.

فلْنكُفّ عن تقديس «الأصل» بتأكيد استحالة الترجمة، ونعتها بالنسخة مُقارنة بأصلها، ولْنتذكّر في هذا السياق بوريخيس، الذي ابتدأ مَسيرَه الكتابي مُجترحاً الترجمةَ التي برَز فيها، والذي كثيراً ما اهتمّ مناسبات عديدة للتنويه بجهد المترجِمين، وليُبدي إعجابه الخاص بمترجمه إلى الفرنسية بَشطُور إيبارّا، الذي أعترف له بتفوُّقه على نصوصه البورخيسية، وبنجاحه في إعادة كتابتها تصويرياً وأسلوبياً وتأويلياً بإبداعية مُتفرّدة.

(أكاديمي ومترجم من المغرب)

عمل للفنّانة اللبنانية سلوى روضة شقير، زيت على لوح الياف (1965)

فعاليات

حتى الحادي والثلاثين من الشهر الجاري، يتواصل في «غاليري بيكاسو إيست» بالقاهرة، معرض **محطّات** للفنان التشكيلي المصري **فتحي عفيفي** (1950)، الذي افتتح أمس الأربعاء. اختار عفيفي رحلة المترو ثيمة لمعرضه الجديد، حيث تظهر جموع الناس في محطّات المترو في العاصمة المصرية وداخل عرباته كذلك.

تُفتتح، الأحد المقبل، فعاليات الدورة العاشرة من **مهرجان كتارا للرواية العربية** في الدوحة، التي تتواصل حتى 20 الشهر الجاري، وتشتمل على ثماني ندوات وجلسات حوارية، وورشات عمل يشارك فيها عدد من الكتّاب والنقّاد العرب. واختار المنظّمون الروائي والكاتب المغربي **التهامي الوزاني** (1903-1972) شخصية العام، الذي يعدّ أحد أبرز روّاد الكتابة الروائية في المغرب.

تنطلق، عند الخامسة من مساء بعد غدٍ السبت، في «دار الثقافة باردو» بتونس العاصمة، فعاليات **مهرجان أكتوبر الموسيقي** التي تستمر حتى 27 الشهر الجاري. يشارك في المهرجان الموسيقيون: **نضال يحياوي**، و**محمد عطاء**، و**آدم سويسي**، وتعقد مائدة مستديرة بعنوان **الموسيقى بين العلاج وتربية الطفل**.

تُفتتح عند الحادية عشرة من صباح اليوم الخميس، في «المركز الأردني للمعارض» بعمّان، فعاليات الدورة الثالثة والعشرين من **معرض عمّان الدولي للكتاب**، وتتواصل حتى التاسع عشر من تشرين الأول/ أكتوبر الجاري. تحلّ الجزائر ضيف شرف على الدورة الحالية التي تشارك فيها أكثر من أربعمئة دار نشر عربية وأجنبية.